الاستعمال ودوره في وضع المعاجم عند الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح: النظرية والتطبيق

د. معبود جويدة
جامعة أبو القاسم سعد الله - الجزائر 2 / الجزائر
maboudj@hotmail.fr

تاريخ التسلم: 2019/07/29 **تاريخ القبول: 2020/09/06**

الملخص:

يعتمد المعجمي في وضع معجمه على مدونات مختلفة، ونظرا لأهميّة المدونة التي تنطلق من الاستعمال الحقيقي للّغة، فقد عدّها اللسانيون والمعجميون خصوصا شرطا أساسيّا من شروط وضعه، وسنحاول في هذه الدراسة التركيز على أحد اللسانيين المحدثين الداعين إلى ذلك وهو الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح، ومعرفة الأفكار والآراء العلميّة التي تأثر بها، والطريقة المساعدة في نظره على حصر هذا الاستعمال.

الكلمات المفاتيح : صناعة المعجم - وضع المعجم - الاستعمال - المدونة - الذخيرة - عبد الرحمن الحاج صالح.

The usage and its role in the elaboration of dictionaries according to Professor Abderrahman Hadj-Salah's point of view – theory and practice-

Abstract:

The lexicographer relies in his work on different corpuses. The linguists and lexicographers in particular consider the corpus, which is based on the actual use of the language, given its importance, a principal condition to elaborate a dictionary. We will try, through this study, to focus on one of the modern linguists, the professor Abderrahman Hadj-Salah, who pleads on the favour of this method, and to figure out the ideas and scientific opinions that influenced him and the best way, in his opinion , to collect this usage.

Keywords: Hadj-Salah Abderrahman - Lexicography - dictionary - corpus - thesaurus.

مقدمة:

يعدّ الأستاذ عبد الرّحمن الحاج صالح من أبرز العلماء الجزائريين الذين تميّزوا بسعة ثقافتهم لعمق دراسته في التراث اللّغوي العربيّ، فهو صاحب النظرية الخليليّة الحديثة، ولاطلاعه الواسع على التيارات اللّسانيّة الحديثة. وقد كان عضوا في مجامع لغوية مختلفة، مجمع دمشق، وبغداد، وعمان، والقاهرة، ورئيسا للمجمع الجزائري للغة العربيّة، كما أشرف على مشروع الذخيرة اللّغوية العربيّة الذي بقي اسمه مرتبطا به، إذ ترك أثرا في مسيرته الفكريّة والثقافيّة.

تعددت البحوث التي اهتم بها الأستاذ الحاج صالح، كاهتمامه بالصوتيات العربيّة والفنولوجيّا (الصوتيات الوظيفيّة) وعلم المصطلح والدراسات المعجمية والنحو العربي واللّسانيات العامة وتعليميّة اللّغات والترجمة. وما تبيّن لي أثناء قراءتي لهذه البحوث وللمتعلّقة منها بصناعة المعاجم خاصة، حثّ الأستاذ الحاج صالح المعجميين العرب المحدثين على الرجوع إلى الاستعمال الحقيقي للّغة العربيّة في تأليف معاجمهم باختلاف أنواعها.

وبما أنّ الاستعمال لا يخص المعجمي وحده، بل كذلك النّحوي واللّساني، فسأحاول في هذه الدراسة التطرق إلى رأي الأستاذ الحاج صالح في الاستعمال عامة [1] وعلاقته بوضع المعاجم خصوصا، ثم أتحدث عن دعوته إلى الرجوع إلى الاستعمال الحديث منه والقديم في الصّناعة المعجميّة، وأحاول معرفة الآراء العلميّة التي تأثّر بها، وأختم دراستي بالحلول التي رأى أنّ من شأنها أن تساعد على جمع الاستعمال بطريقة علميّة.

1- الاستعمال اللغوي وعلاقته بوضع المعاجم / رؤية تاريخيّة:

تفطن علماء العربيّة إلى ضرورة جمع اللّغة، فبعد الفتوحات الإسلاميّة واختلاط العرب بغيرهم من الأمم، خشي هؤلاء العلماء من تسرّب اللّحن إلى لغة القرآن الكريم، ولم يتمّ الجمع بطريقة عشوائيّة وإنّما اعتمدوا على معايير مختلفة، فلا تؤخذ اللّغة إلاّ من أفواه المتكلمين الفصحاء سواء كانوا عربا أم لا، وسواء أكانوا من أهل البدو أم الحضر، فالمعيار هو بقاء المتكلم على لغة منشئه مهما كان جنسه ومكان عيشه.

وقد تحدث الأستاذ الحاج صالح عن ذلك بالتّفصيل والتّدقيق في كتابه " السّماع اللّغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة"، وعالج في البابين الثالث والرابع من هذا الكتاب قضايا ومسائل مهمة لها علاقة بالسّماع اللّغوي – وأصحابه وأماكنه ومبادئه-، وبأوصاف المتحري ومنهجيّة التّحري الميداني وتقنياته، مؤكّدا انطلاق المتحرين اللّغويين والنحويين من الاستعمال الحقيقي للّغة (الحاج صالح، 2007ب)؛ فالنحاة القدامى بعد استقرائهم للنّص القرآني لجأوا إلى الشعر الفصيح وكلام العرب للحصول على مدونة لغوية تستنبط منها قواعد اللّغة العربيّة، وقد كانت الوسيلة المعتمدة في جمع هذه المدونة هي السّماع ومشافهة العرب الموثوق بلغتهم لرصد استعمالاتهم ومحاولة معرفة مدى

(1) الغرض من هذه المقالة هو التّركيز على الاستعمال وأهميته في صناعة المعجم، ولهذا فلن أتحدث عن علاقة الاستعمال باللسانيات والنحو إلاّ باختصار شديد فكلاهما يحتاج إلى دراسة مفصّلة.

شيوع هذا الاستعمال، وهو ما لم يلجأ إليه المتأخرون من النحاة. وفي هذا السياق يقول الأستاذ الحاج صالح: " ... يختلف تماما نحو سيبويه وجميع القدامى من نحو المتأخرين، فالقدامى عاشوا في زمان الفصاحة وشافهوا فصحاء العرب وسجّلوا ما كانوا يسمعون منهم من مخاطباتهم ولم يتركوا من ذلك شيئا على الإطلاق بل سجّلوا كلّ العبارات العفويّة من تلك التي تدلّ على حيويّة العربيّة الفصيحة وسجّلوا كلّ صغيرة وكبيرة ولاحظوا كثرة الحذف والاختزال والإدغام والتخفيف والقلب والتقديم والتأخير فكتبوا كلّ ذلك بأمانة فائقة لم يشاهد ذلك عند أيّة أمّة أخرى وكتاب سيبويه يزخر بهذه العبارات من الكلام المتخاطب به وفي مقامات متنوّعة وفعل مثل ذلك أصحابه" (الحاج صالح، 2007ب، ص264).

وقد تحدث الأستاذ الحاج صالح عن البنويّة الوصفيّة التي ينطلق أصحابها من الاستعمال في دراسة اللّغة، إذ يصف اللّساني كل ما ورد في مدونته دون أيّ إقصاء على عكس النزعة المعياريّة، فكلّ من النّحاة العرب والبنويين يجعلون المشاهد المسموع بالفعل هو مادة البحث مع اختلافات نظريّة ومنهجيّة (الحاج صالح، 2007أ، 213/1، و1999، ص199-200). وهذا الإجراء الذي وصفه الأستاذ الحاج صالح هو ما قام به مؤلفو المعاجم العامة حتّى القرن الرابع الهجري، فقد اعتمده أبو منصور الأزهري، الذي عدّ من اللغويين المشافهين للعرب الفصحاء بعد وقوعه في أسرهم مدّة طويلة، هؤلاء العرب الذين كانوا يتكلمون بطباعهم البدويّة وقرائحهم التي اعتادوها(الأزهري،1964، 7/1)، ممّا جعله يأخذ عنهم ما سمعه من فصيح اللّغة ويضمّه إلى معجمه تهذيب اللّغة ، كما اعتمد الإجراء نفسه الجوهري في صحاحه(الجوهري، 2008، ص19)، ولكن فيما بعد أصبح النّقل عن المعاجم المؤلفة هو الطريقة المعتمدة في جمع المادة، فابن منظور استمدّ مادة معجمه لسان العرب من عدد من الكتب(ابن منظور، 2003، 8/1).

ولجأ إلى هذه الطريقة الفيروزبادي في القاموس المحيط (الفيروزبادي، 2011، ص23) والزبيدي في تاج العروس (الزبيدي، 1965، 2/1 وما بعدها)، فقد كان السّماع في البداية المصدر المعتمد عند المعجميين القدامى في جمع مادة معاجمهم ابتداء من الخليل في القرن الثاني إلى غاية عصر الجوهري في القرن الرابع، لأنّ صفة الفصاحة ما زالت موجودة في كلام العرب في تلك الفترة ولهذا جمعت اللّغة من أفواه العرب، ولكن بعدما زاد احتكاكهم بغيرهم من الأعاجم انتشر اللحن، ولهذا أصبح المصدر الوحيد لجمع اللغة هو النّقل عن المعاجم التي ألفت في عصر الاحتجاج، وفي هذا الشأن يقول الأستاذ الحاج صالح: "...وآخر من عمل معجما ورجع إلى النّاطقين أنفسهم ممّن كان قد حافظ على لغته هما أبو منصور الأزهري صاحب تهذيب اللّغة وأبو نصر الجوهري صاحب الصحاح. فهذا الذي نسميه مدونة اليوم كان هو هذا المسموع المدوّن عند اللغويين العرب القدامى... ثم مضت القرون وتوقف السّماع المباشر وقام مقامه الجمع لما تشتّت من ذلك ثم محاولة الإدماج للمعاجم في معجم واحد. وإدماج المعاجم الكثيرة قد صار إليه بعضهم في زمان متأخر جدّا كابن منظور في لسان العرب والفيروزبادي في قاموسه وغيرهما..."(الحاج صالح، 2006، ص19).

ولم تسلم المعاجم العربيّة الحديثة من قضية النّقل عن المعاجم السابقة، مع حذف ما صار وحشيا وغريبا من الكلمات ومحاولة أصحابها تحديث محتواها بإضافة كلمات محدثة، فقد أشار الأستاذ الحاج صالح إلى تأخر العرب في العناية باللّغة المستعملة بالفعل – القديمة أو الحديثة- ولم يظهر منهم هذا الاهتمام إلاّ القليل في نهاية القرن التاسع عشر والقرن العشرين(مثل عائلة البستاني والإسكندر معلوف وغيرهم،...)، ومن المعاجم العربيّة التي صدرت في السنوات الأخيرة وحاول أصحابها أن يدمجوا في متونها المستعمل حديثا: المعجم الوسيط لمجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة الذي ظهرت طبعته الأولى عام 1960، والمعجم العربي الأساسي الذي أصدرته المنظمة العربيّة للتّربية والثقافة والعلوم بالتعاون مع مؤسسة لاروس العالميّة سنة 1989، والمنجد في اللّغة العربية المعاصرة الذي صدر عن دار المشرق سنة 2000، وأمّا المعاجم المزدوجة اللّغة والتي صدرت في السنوات الأخيرة واحتوت على المصطلحات الكثيرة الورود في الاستعمال فقد ذكر الأستاذ الحاج صالح منها: معجم المورد لمنير البعلبكي (إنجليزي/ عربي)، (1967)، والمنهل لسهيل إدريس وجبور عبد النور (1970)، (فرنسي/ عربي)، إلاّ أنّه خلص إلى نتيجة مفادها أنّ الكلمات المولدة المضافة في هذه المعاجم لم تستخرج من الاستعمال الحقيقي لها أي من نص أو أكثر من نص، فقد أضيفت لا لسبب إلاّ لأنّ المؤلف يعرفها أو وجدها في معجم مزدوج اللّغة أو وضعها هو نفسه فأضافها (ينظر، الحاج صالح، 2005، ص14 وما بعدها، بتصرف)، وفي ذلك يقول:" إنّ أكثر المعاجم العربيّة التي ألّفت منذ النّهضة إلى غاية منتصف القرن العشرين تتّصف بصفتين اثنتين: اعتماد أصحابها على المعاجم القديمة، واستخراجهم منها ما يبدو لهم أنّه من الألفاظ التي يحتاج إليها المثقف العربي في عصرنا هذا أو ممّا قد يرد بكثرة في النّصوص القديمة أو الحديثة، وذلك بدون اللّجوء إلى أيّ مقياس علمي إلا التحسّس أو الهاجس معتمدين في ذلك عند العلماء المتميّزين منهم على علمهم الغزير ومعرفتهم العميقة للّغة العربيّة وخاصة مفرداتها ومدلولاتها،...فهم لا يرجعون في الغالب إلى الاستعمال الموضوعي للّغة العربيّة،... كما كان يفعله علماؤنا القدامى الذين دونوا كلام العرب، وكما يفعله العالم اللساني في زماننا هذا، فالصفة الثانية هي عدم لجوئهم إلى تدوين واسع لما يستعمل بالفعل الآن باللّغة الفصحى أو استعمل قديما، أي إلى مدونة كبيرة من النّصوص يعتمد عليها الباحث كمرجع موثق شاهد على الاستعمال الحقيقي للّغة الفصحى ثم إنّ أكثر المعاجم العامة التي ظهرت في هذه الفترة كانت، زيادة على ذلك، لا تتعرض إلى اللّغة المعاصرة، أي المولد من الألفاظ، إلاّ قليلا، مع أنّ هذا المولد قد يكون وضع على قياس كلام العرب... وقد دخل في الاستعمال وشاع شيوعا واسعا وأخصّ بالذّكر المولد العفوي الذي وضعه أفراد الشعب للضّرورة الملحة" (الحاج صالح، 2005، ص13).

أمّا بالنّسبة إلى المعاجم المدرسيّة فقد كان منطلقها كذلك المدونة المعجمية، إذ اختصر عدد من المعاجم العامة القديمة ليكون في متناول فئة من المستعملين، كمختصر العين للزبيدي ومختار الصحاح للرازي، واستمر التّأليف على هذه الطريقة في القرن التاسع عشر، فقطر المحيط لبطرس البستاني هو اختصار لمعجمه محيط المحيط، وفاكهة البستان لعبد الله البستاني هو اختصار لمعجمه البستان، وهو كما يرى الأستاذ الحاج صالح حال المعاجم المدرسيّة المؤلفة منذ زمان قريب، فقد

ألّفت معاجم مدرسيّة أو طلابيّة أكثرها مختصرة من المعاجم العامة ومثّل لذلك بمنجد الطلاب والمعجم المدرسي السوري والوجيز وغيرها... (الحاج صالح، 2007أ، 116/2).

فمعظم مواد هذه المعاجم لا تعبر عن محيط التلميذ ومختلف اهتماماته، وفي هذا السياق يقول: " لقد ألّفت في عصرنا معاجم مدرسيّة... ، وهي محاولة طيّبة بلا شك، إلاّ أنّ أكثر ما ألّف إلى الآن لم يخضع بعد للمقاييس العلميّة التي يجب أن تعتمد عليها في هذا الميدان. وأكثر هذه المعاجم الخاصة بالطفل أو الطلاب اعتمدت على المعاجم القديمة مع التفاف غير كاف إلى ما أحدث في أيامنا من أسماء الآلات والمفاهيم العلميّة والتقنيّة، وما أبدع من ذلك. وكلّ ذلك تمّ على طريقة ذاتيّة في الغالب لا تعتمد على جرد النّصوص المحرّرة أو المنطوقة (الفصيحة) بل يختار أصحابها غالبا ما يبدو لهم أنّه معروف شائع، ويضيفون إلى ما اختاروه بعض الكلمات ذات المفهوم المحدث كما هو الحال بالنّسبة إلى سائر المعاجم. أمّا المقياس في هذا الاختيار وهذه الإضافات فهو حدسي محض في غالب الأحيان وهو الشعور الذاتي بأنّ هذا اللفظ أو ذاك هو المناسب أو هو الشائع (بالنّسبة إلى أيّ بلد أو أيّ فئة) أو متروك تماما" (الحاج صالح، 2005،ص21).

وفي إطار حديثه عن المعجم المدرسي تكلّم عن الرصيد اللّغوي الوظيفي وأهميّته، فقد اعتُمد في وضعه على جرد الكتب المدرسيّة وعيّنة من كتابات التلاميذ وما يتفوهون به في مخاطباتهم مع الصغار والكبار ليكون المنطلق بذلك اهتمامات الطفل وما يحتاج إليه بالفعل لمواجهة الحياة في سنّ معيّنة من عمره وفي مرحلة معيّنة من مراحل تعليمه، وقد ألّفه بعض العلماء في المغرب العربيّ وهو يشمل ثلاثة بلدان عربية، كما وضعت المنظمة العربيّة للتّربية والثقافة والعلوم رصيدا مماثلا بالطريقة نفسها يشمل كلّ البلدان العربيّة وهو الرصيد اللغوي العربيّ(الحاج صالح، 2005،ص22، و2015، ص26).

2- رؤية الصناعة المعجميّة عند الحاج صالح / تأصيلا ومنهجا:

الملاحظات والاستنتاجات التي توصل إليها الأستاذ الحاج صالح من خلال دراسته لواقع التأليف المعجمي العربيّ مقارنة بالصناعة المعجميّة في الغرب دفعته إلى أن يعلن أنّ: " المعجم العربي في وقتنا الحاضر هو في طور النّمو، وقد وضعت المعاجم الكثيرة في شتى ميادين العلم، وهذا جيّد، إلاّ أنّ المعجم العام والمعجم المدرسي لا يزالان دون المستوى المطلوب كيفا وكمّا، ولم نر بعد معجما ينتهج فيه أصحابه المناهج الدقيقة التي ظهرت في زماننا هذا، وكلّ ما ظهر فلا يزال عالة على القديم، في الغالب، من حيث المنهج وطريقة الاستقاء، فما رأينا من يهتم بالاستعمال الحقيقي للّغة العربيّة إلاّ القليل، وليس اختيار الكلمات على مقياس ذاتي ودون الرجوع إلى واقع الاستعمال للّغة العربيّة الفصحى بمُرضٍ أبدا. ولهذا أيقنا أنّ مشروعا يرمي إلى تدوين هذا الاستعمال-كما فعله أجدادنا-هو شيء ضروري جدّا" (الحاج صالح، 2007أ، 124/2).

لسدّ هذه الثغرة يقترح الأستاذ الحاج صالح رؤية للصناعة المعجميّة تستند إلى تأصيل نظري ومنهجيّة عمليّة واضحة، وسنذكر فيما يلي بعض أقواله [2] معقبين عليها باستنتاج عام يقول: " طالما نادينا إخواننا اللّغويين إلى الرجوع إلى التّراث العلمي اللّغوي الأصيل، ومازلنا إلى يومنا هذا نحاول أن نقنع النّاس على ضرورة النظر فيما تركه أولئك العلماء الفطاحل،... ولابدّ من التنبيه ههنا أنّ الذين نعنيهم هم العلماء الأولون الذين عاشوا في زمان الفصاحة اللّغوية العفويّة وشافهوا فصحاء العرب وقاموا بالتّحريات الميدانيّة الواسعة النّطاق للحصول على أكبر مدونة لغويّة شهدها تاريخ العلوم اللّغويّة وتمكنوا من ضبط أنجع الطرق التحليليّة لوصف المحتوى اللّغوي لهذه المدونة. ثم استنباط القوانين النّحويّة الصرفيّة البلاغيّة منها مع تعليل منطقيّ عجيب لكلّ ما شذّ عن هذه القوانين، ثم صياغة رياضيّة لمجموع هذه الأوصاف والتعليلات ممّا لا يقل عمّا هو موجود الآن في ميدان العلوم اللسانيّة" (الحاج صالح، 2007أ، 169/1). ويقول في موضع آخر: " منذ عشرات السنين كنت أتساءل باستمرار لماذا يقلّد العرب في عصرنا الغربيين في كلّ شيء، في كلّ ميدان علمي أو غير علمي، ويقتبسون منهم كلّ شيء، بدون تمحيص غالبا، إلاّ في ميدان واحد وهو صناعة المعاجم ووضع المصطلحات. فما لاحظناه عند العلماء الغربيين في هذا الميدان هو اعتمادهم المطرد على الاستعمال – ولا يشذ عن ذلك أحد- عند تأليفهم لمعجم عام أم مختص، وذلك على شكل تدوين لعيّنة كبيرة لهذا الاستعمال وعلى أساس القواعد المتعارف عليها في تأليف المعاجم. وقد يكون هذا الاستعمال موزّعا على أقاليم أو بلدان وغير ذلك من الأماكن وذلك ليمكن الإشارة إلى كثرة الاستعمال أو قلّته في كلّ من هذه الأماكن،...وقد يهتم المعجمي بتطور المفردة لفظا ومعنى عبر الزمان في مختلف الأقاليم، فلابدّ أن يعتمد إذن على مدونة تغطي الاستعمال لعدّة سنوات بل قرون" (الحاج صالح، 2005، ص16).

وفي السّياق ذاته يقول: " أمّا ما يمكن أن يكون عيبا في طريقة وضع المعاجم العربيّة الحديثة، في نظرنا، - على اختلاف أنواعها- فهو نقصها الشامل لخاصيّة امتازت بها المعاجم التي ألّفها الغربيون للغاتهم ولا سبيل إلى وجودها على الإطلاق في المعاجم العربيّة حاليا، في علمنا، إلاّ فيما وضعه بعض الغربيين فيما يخص اللّغة العربيّة. فهذه الخصلة التي يعتبرها علماء اللّغة (علماء المعجميات خاصة) في زماننا شرطا لازما لوضع المعاجم بل الأساس الذي تبنى عليه وهي ضرورة الرجوع في كلّ ما يدرجونه في معجمهم إلى مجموعة واسعة جدّا من النّصوص الأدبيّة والعلميّة والعادية يجعلونها هي المستقى الكليّ والوحيد لكلّ الألفاظ التي تدخل المعجم. فهي وثائق نصيّة يعتمد عليها واضع المعجم اللّغوي...ولا يوجد معجم لغوي بلغة أجنبيّة إلاّ وله مدونة استقى منها هذا المجموع النّصي الوثائقي الواسع" (الحاج صالح، 2006، ص21).

(2) لمزيد تفصيل؛ ينظر: (الحاج صالح، 2008، ص25)، و(الحاج صالح، 2015، ص24).

فالمتبيّن من خلال هذه الأقوال:

- اهتمام الأستاذ عبد الرّحمن الحاج صالح باللّغويين العرب القدامى فهو يستشهد بهم كثيرا في مختلف أبحاثه، لمنهجهم في توثيق السماع الحي للغة العربيّة وهو الشاهد بالاستعمال الحقيقي لها.

- اهتمامه باللّغويين الغربيين ودراستهم وتجاربهم وخصوصا مناهجهم المعاصرة في التدوين والاستقاء لصناعة المعاجم العامة والمدرسية.

- ضرورة الرجوع إلى الاستعمال في الصناعة المعجمية [(3)].

- ضرورة جمع مدونة واسعة جدّا من النّصوص المتنوعة مضمونيّا والممثلة جغرافيّا لكلّ الاستعمالات اللّغوية.

- تبيّن لنا أن موقف الحاج صالح من المنجز العلمي الغربي ليس هو القبول المطلق ولا الرّد المطلق وإنّما هو التمحيص والاختبار المستمر من أجل الاستفادة الواعية من مستجدات البحث العلمي في الغرب.

3- الحلول المساعدة على الرجوع إلى الاستعمال في الصّناعة المعجميّة:

تدوين الاستعمال الواسع للّغة العربيّة قديما وحديثا يتطلب الاستعانة بالوسائل التكنولوجيّة الحديثة لحصره، يقول الأستاذ الحاج صالح: " ... إنّ لوضع المعاجم شروطا أهمّها هو أن يعكس المعجم الاستعمال الحقيقي للّغة، لا ما يعرفه مؤلفه من اللّغة أو ما ينقله من المعاجم المتواجدة في زمانه، وهذا لا يمكن أن يحقق إلاّ بحصر هذا الاستعمال في مدونة كبيرة تكون هي المرجع الأساسي الذي لا مناص منه في تأليف المعجم بطريقة علميّة، ولا يمكن أن يتحقق هذا دون اللجوء إلى الوسائل الحاسوبيّة" (الحاج صالح، 2007أ، 116/2). لذا اقترح الأستاذ الحاج صالح مشروع الذخيرة اللغويّة [(4)]، فهو بنك آلي (حاسوبي) يخزن عددا هائلا من النّصوص المحرّرة أو المنطوقة بالعربيّة بمختلف أنواعها(الأدبيّة، والعلميّة، والتقنيّة،...)، ويكون تحت تصرف أيّ فرد في الوطن العربي وخارجه...، وبالرجوع إليه يمكن أن تؤلف الأنواع الكثيرة من المعاجم: المعجم التاريخي، ومعجم المعاني، ومعجم ألفاظ الحياة القديمة والحديثة، ومعجم بأسماء الأعلام والأماكن، والمعجم التقني، ومعجم للطفل العربي، ومعجم الألفاظ الدخيلة والمولدّة، ومعجم الألفاظ المتجانسة والمترادفة

(3) فاللغة وضع واستعمال، ولا عبرة إلاّ بالاستعمال الحقيقي لها. ويعتقد الحاج صالح أنّ السبب الرئيسي في عدم الالتفات إلى الاستعمال هو عدم اهتمام العلماء العرب في زماننا بالنظر فيه إذ المهم عندهم هو الوضع بجميع وجوهه.(الحاج صالح، 2007ج، ص10، و2015 ، ص24).

(4) المزايا الرئيسية للذخيرة (الحاج صالح، 1997، ص51):

- أنها هي الاستعمال الحقيقي للغة العربيّة.

- استفاضتها وشموليتها بتغطية هذا الاستعمال لجميع البلدان العربيّة، وامتدادها من العصر الجاهلي إلى عصرنا هذا.

- تمثيلها لهذا الاستعمال بوجود كلّ النصوص ذات الأهميّة فيها، المحررة منها والمنطوقة الفصيحة في الأدب والحضارة والدين والعلوم والثقافة العامة والفنون وكذا الحياة اليوميّة.

-اعتمادها أجهزة إلكترونيّة في أحدث صورها، وهي الوسيلة الوحيدة التي يمكن أن تجمع وتسع الكميّة الهائلة من النصوص.

والمشتركة والأضداد... كما يعدّ مصدرا لمختلف الدراسات والبحوث اللّغوية والعلميّة،... كدراسة تطور معاني الكلمات عبر العصور ودراسة ترددها بالنّسبة لعصر واحد أو مؤلف واحد،...ودراسة اتّساع رقعة الاستعمال للمصطلحات في عصرنا هذا، ودراسة الأصوات العربيّة، ودراسة مجالات المفاهيم الحضاريّة أو العلميّة خاصة ودراسة المترادف والمشترك من الألفاظ في الاستعمال في وقت معيّن ... وغير ذلك ممّا يخص اللّغة كلغة قديما أو حديثا وعبر العصور والبلدان...وهناك فوائد أخرى تتجاوز البحث اللّغوي ألا وهي الاستفادة من المعلومات المتعلّقة بالمعارف العلميّة والثقافيّة وحتّى التربويّة (الحاج صالح، 2005،ص19-20، و1997، ص52)

خاتمة:

هدف هذا المقال إلى تقديم صورة كليّة ومتجانسة عن رؤية الأستاذ الحاج صالح لصناعة معاجم اللغة العربيّة على اختلاف أنواعها ووظائفها، وعن دور الاستعمال خصوصا في هذه الصناعة، هذه الرؤية التي كانت متناثرة في نصوص الأستاذ الحاج صالح ومقالاته وتعليقاته في سياقات مختلفة، وهو ما يبيّن أبعاد هذه القضيّة في فكر الحاج صالح بين ميدانها المحوري "صناعة المعجم" وميادين مجاورة كميدان تعليميّة اللغة ولغة الإعلام وغيرها.

الوظيفة الأساسيّة للمعاجم هي أن تعكس ما يحدث في المجتمع من تطور وذلك بإدراج المفردات الجديدة المعبّرة عن ذلك التطور في متونها، تلك المفردات التي استقرت في الاستعمال وشاعت، لأنّ ظهور مفردات جديدة أيّا كانت لا يعني بالضرورة ديمومتها، فكلّ ما يوضع من الألفاظ الجديدة فلابد أن ترضى به عامة المتكلمين فإن رفضوه فمآله الانزواء ثم النسيان ولا سبيل إلى إحيائه، لأنّ حياته منوطة باستعمال المستعملين وكثرة تداولهم له. بإدراج هذه المفردات مع تدوينها للمفردات القديمة التي مازالت تستعمل بمعانيها أو أضيفت إليها معان جديدة. فالعودة إلى الاستعمال في وضع المعاجم اللّغوية قديما وحديثا، ضروريّ وهو ما يدعو إليه الأستاذ الحاج صالح، مقترحا مشروع الذخيرة اللّغويّة وسيلة لتحقيقه، باعتبار أنّ الشروط المنهجيّة العلميّة لصناعة المعجم العربي لا يمكن أن توفّى إلاّ بمدونة هائلة للنصوص العربيّة وهو ما يفسر لنا شدة اعتناء وإلحاح الأستاذ الحاج صالح على إنجاح مشروع الذخيرة اللغوية الذي يتوقف عليه الانطلاق السليم لعدد من الأعمال العلميّة التي من ضمنها صناعة المعجم العربي.

تبنّى هذا المشروع المجلس التنفيذي للمنظمة العربيّة للتّربية والثقافة والعلوم، والمجلس الوزاري بجامعة الدول العربيّة ، وشرع عدد من البلدان في تنفيذه منها الجزائر ممثلة في المجمع الجزائري للّغة العربيّة، إذ جنّد الأستاذ الحاج صالح فريقا من الباحثين من عدّة تخصصات يسهرون على إعداده ، فهو سيمثل الاستعمال الحقيقي للّغة العربيّة من أقدم العصور إلى عصرنا هذا، وطالما دافع عنه في الجزائر وفي البلدان العربيّة الأخرى في العديد من الاجتماعات، والأيّام الدراسيّة، والنّدوات والملتقيات الوطنيّة والدوليّة، حتّى أصبح مشروعا عربيّا معترفا به.

قائمة المصادر والمراجع:

أ- العربية:

- ابن منظور، محمد بن مكرّم.(2003).لسان العرب. ط1.دار الكتب العلمية.بيروت، لبنان.ج1
- الأزهري، محمد بن أحمد.(1964).تهذيب اللغة.(د ط).المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر والدار المصرية للتأليف والترجمة. ج1
- الجوهري، إسماعيل بن حماد.(2008).الصحاح.ط3.دار المعرفة.بيروت، لبنان
- الحاج صالح، عبد الرحمن.(1973)." مدخل إلى علم اللسان الحديث أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية".مجلة اللسانيات.ع4
- الحاج صالح، عبد الرحمن:
(1997)."مشروع الذخيرة اللغويّة العربيّة وأبعاده العلميّة والتطبيقيّة".مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة.ج81
(1999)."النحو العربي والبنوية: اختلافها النظري .المنهجي". مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة.ع85.ج2
(2005)." المعجم العربي والاستعمال الحقيقي للغة العربيّة".مجلة المجمع الجزائري للغة العربيّة.ع1
(2006)." المعجم العلمي وشروط وضعه العلميّة والتقنيّة.مجلة اللسانيات.ع11
(2007أ). بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة. المجمع الجزائري لّلغة العربيّة. الجزائر. ج1، ج2.
(2007ب). السّماع اللّغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة. المجمع الجزائري للغة العربية.
(2007ج)." المعجم التاريخي وشروط إنجازه".مجلة المجمع الجزائري للغة العربية.ع5
(2008)." مساهمة المجامع اللغويّة العربيّة في ترقيّة اللغة العربيّة وتجديد محتواها وتوسيع آفاقها".مجلة المجمع الجزائري للغة العربيّة.ع8
(2015)." دور اتحاد المجامع اللغوية العربيّة وتحديث العمل المجمعي".مجلة المجمع الجزائري للغة العربيّة.ع20-21
- الزبيدي، محمد مرتضى بن محمد.(1965).تاج العروس من جواهر القاموس.(دط).ج1
- الفيروزبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب .(2011).القاموس المحيط.ط5.دار المعرفة.بيروت.لبنان.